

قيمة الوقت

الوقت قيمة هامة غالية ثمينة نفيسة لا يدرك قدرها كثير من الناس ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ " (صحيح البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ؟ (المعجم الكبير للطبراني) ، فما من يوم إلا وينادي : يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاعتدمني فإن غابت شمسي لن تدركني إلى يوم القيامة .

ولأهمية الزمن أقسم به الحق سبحانه وتعالى في مواضع عديدة ، وأشار إليه في مواضع أخرى من كتابه العزيز ، حيث يقسم سبحانه وتعالى بالفجر الذي أفرد له الحق سبحانه وتعالى سورة سماها باسمه ، فقال : " وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ " (الفجر : ١-٣) ، ويقسم بالضحى ويفرد له أيضا سورة سماها باسمه فيقول : " وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝٤ " (الضحى : ١-٤) ، وأقسم سبحانه وتعالى بالعصر وأفرد له سورة باسمه في كتابه العزيز هي سورة العصر ، فقال سبحانه : " وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ " (العصر : ١-٣) ، ويقسم سبحانه وتعالى بالصبح فيقول : " وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧ " (المدثر : ٣٤-٣٧) ، ويقسم بالليل وبالنهار فيقول سبحانه : " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ " (الليل : ١-٧) فتسمية أربع سور بأسماء أوقات : الفجر ، والضحى ، والعصر ، والليل ، هو أكبر دليل على أهمية الزمن .

إضافة إلى إشارات متعددة تربط بعض الأحداث أو الأعمال بالزمن كقوله تعالى: " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " (الإسراء : ٧٨) ، وقوله تعالى في شأن أصحاب الكهف: " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا " (الكهف : ٢٥) ، وقوله تعالى : " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ " (البقرة : ١٨٥) ، وقوله تعالى: " وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ " (البقرة : ٢٣٣) ، وقوله سبحانه : " وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمُ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِّضْنَ بَأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا " (البقرة : ٢٣٤) ، وقوله سبحانه : " وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمُ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ " (البقرة : ٢٤٠) ، وقوله سبحانه : " لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ " (البقرة : ٢٢٦) .

على أن الناس في تعاملهم مع الوقت فريقان : الأول يسرقه الوقت فإن لم يسرقه الوقت حاول هو قتل الوقت لأنه في فراغ قاتل ممل ، لا هو في أمر دينه ولا في أمر دنياه ، حيث يقول ابن مسعود (رضي الله عنه) : إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا ، لا في عمل الدنيا ، ولا في عمل الآخرة .

أما الفريق الآخر فليس لديه فاقد من الوقت ولا فائض ، لأنه منظم يحسن استغلال وقته والاستفادة بكل جزء فيه ، لا يدرك قيمة ثوانيه فحسب ، إنما يدرك قيمة ما يعرف بالفيمتو ثانية ، ويعمل على استغلال كل ذرة من الزمن ، مدركًا أن النشاط يولد النشاط ، والكسل يولد الكسل ، وأن القليل إلى القليل كثير ، وأن حياة الإنسان إنما هي عبارة عن مجموعة من الوحدات الزمنية التي تشكل في مجملها وتراكيبها حياته كلها ، وقد قال الشاعر :

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ

إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَان

وقد كان ذلك قبل أن يقف الناس على تجزئة الثواني إلى وحدات زمنية أخرى .

على أن عمر الإنسان هو ما ينتجه أو يخلفه من تراث معرفي ، أو فكري ، أو إنتاج علمي ، نظري أو تطبيقي ، وكل ما يقدمه لخدمة البشرية ، بغض النظر عن مدى الزمن الذي يعيشه ، وقد قال الشاعر:

عُمُرُ الْفَتَى ذِكْرُهُ لَا طَوْلُ مُدَّتِهِ

فالبركة في العمر لا تكون بطول العمر فحسب ، إنما هي مقدار ما ينتجه أو يقدمه المرء في هذا العمر لخدمة دينه أو دنياه أو دنيا الناس ، فخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله ، وخير الناس أنفعهم للناس .

* * *